رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 5- سورة ق | من الأية 91 إلى 22

عبدالرحمن العجلان

محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد - 00:00:00

لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد هذه الايات الكريمة من سورة ايقاف جاءت بعد قوله جل وعلا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد - 00:00:34

ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد - 00:01:06

وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد. الايات لما بين جل وعلا قدرته على البعث وان كل امرئ مسجل عليه ما يتكلم به او يفعله بين جل وعلا - 00:01:31

الحالة التي يظهر للمرء البعث والحساب والجنة والنار قال جل وعلا وجاءت سكرة الموت بالحق جاءت فعلا ماضي وعبر عن المستقبل بالفعل الماضي لتحقق وقوعه وهذا كثير في القرآن يعبر - 00:02:04

في الماضي عن المستقبل لتحقق الوقوع وقال تعالى وجاءت سكرة الموت ولم يقل وتجيء وستجيء قال وجاعت وعند سكرة الموت يتبين للمرء المرء الامر جليا واضحا لكن هيهات لا ينفعه التذكر - 00:02:48

ولا الاجابة لانه عاين الملائكة لقبظ روحه فاذا طلعت الشمس من مغربها او عاين المرء الملائكة لقبظ روحه حينئذ لا ينفع نفس لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل - 00:03:29

وانما الايمان ينفع قبل ذلك حينما يكون في حالة النزع قبل ان يعاين الملائكة ينفعه ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا ابا طالب الى شهادة ان لا اله الا الله - 00:04:05

وان محمدا رسول الله وهو في مرض الموت وهو محتضر لكنه ما فات الاوان وجاءت سكرة الموت بالحق بالحق الشيء اليقين لان عند سكرات الموت يعاين المرء ويعرف وبصيرة يرى - 00:04:30

من جاء في مبشرات ومنذرات مخوفات ترى اما ملائكة الرحمة واما ملائكة العذاب والعياذ بالله كما قال الله جل وعلا في حق المتقين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - 00:05:03

تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون تتنزل عليهم الملائكة عند الاحتضار وعند الوظع في القبر وعند الخروج من القبور المواطن الحرجة الشاقة تأتيهم الملائكة - 00:05:29

تبشرهم الرحمة والرضوان من الله جل وعلا وجاءت سكرة الموت بالحق سكرة الموت سكرات الموت وذهول المرء عما حوله وازمته وشدته ذلك ما كنت منه تحيد يهرب المرء عن الموت - 00:06:03

ويتخوف من الموت ويحاول التخلص منه لكن مجال لهذا لان الموت مدركه جاء ام ابى اينما هرب فالموت له يأتيه في المكان الذي هو فيه كما ورد في الحديث التمثيل - 00:06:37

لثعلب يطالبه الارض بدين وهرب عن الارض فلما انفك حيله وتعب ظن انه سلم فاذا بها تطالب بدينها فانطلق على وجهه هاربا حتى

مات والذي تطالبه الارض بدين لا محالة مدركته. لانه لا مفر له - 00:07:04
عنها وكذلك من يطلبه الموت لابد وان يدركه في اي مكان هو فيه ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد او تهرب او تفر معان متقاربة وما بعد هذا ماذا يكون - 00:07:39
بعد الموت انها مباشرة ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد لان من مات فقد قامت قيامته ما بين المرء وبين القيامة وان استبطأها الا ان يقال مات فلان فاذا مات - 00:08:08
وقد قامت قيامته. انتقل من هذه الدار الى دار البرزخ ومنها الى القيامة الى المحشر ونفخ في الصور السور هو القرن ينفخ فيه اسرافيل وهذه النفخة نفخة البعث وورد النفخات - 00:08:33
ثلاث او اثنتان من قال ثلاث قال النفخة الاولى نفخة الفزع والنفخة الثانية نفخة الصعق والنفخة الثالثة نفخة البعث الاولى يفزع الخلائق والثانية يموتون والثالثة يبعثون ومن قال اثنتان قال نفخة الصعق ونفخة البعث - 00:09:02
ونفخ في الصور السور ينفخ فيه اسرافيل عليه الصلاة والسلام ملك من الملائكة العظام وقد ورد انه التقم الصور منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم لان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم - 00:09:34
من علامات الساعة وقد قال عليه الصلاة والسلام بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه السبابة والوسطى لانه عليه الصلاة والسلام اخر الرسل يا نبي بعده وهو بعث بين يدي الساعة - 00:10:03
ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد عند نفخ الصور يكون يوم الوعيد يوم القيامة ويخرج الناس من قبورهم ويصيرون الى ما يستحقونه اما الى الجنة واما الى النار ذلك يوم الوعيد يعني هذا هو اليوم - 00:10:30
الذي وعد فيه الكفار وهو كما انه يوم الوعيد هو يوم الوعد وعد المتقين الجنة والرضوان من الله جل وعلا وواعد الظالمين بالعذاب وعبر عنه بيوم الوعيد ولم يقل يوم الوعد والوعيد - 00:10:59
لان المقام مقام نذارة ومقام تخويف تهويل للكفار لعلهم راجعون الى الله ذلك يوم الوعيد الذي يقع ما وعدوا به من العذاب الاليم ولا مفر ولا محيص ولا مهرب لهم عنه - 00:11:28
يقول وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد والصحيح ان المخاطب بذلك الانسان من حيث هو وقيل الكافر وقيل غير ذلك وقال ابو بكر ابن ابي الدنيا حدثنا بك ما كنت التاء المخاطب فيها هو الانسان مطلقا - 00:11:59
البر والفاجر بان كل واحد لا يريد الموت وقيل المراد الكافر فقط لان المقام مقام وعد. مقام وعيد وتخويف وقال ابو بكر بن ابي الدنيا حدثنا ابراهيم بن زياد بن سبلان قال اخبرنا عباد بن عباد عن محمد بن عمرو بن علقمة عن ابيه عن - 00:12:27
علقمة ابن وقاص قال ان عائشة رضي الله عنها قالت حضرت ابي رضي الله عنه وهو يموت وانا جالسة عند رأسه فاخذته غشية وتمثلت من غشم سكرات الموت فتمثلت ببيت من الشعر - 00:12:54
من لا يزال دمعه مقنعا فانه لابد مرة مدفوقة قالت فرفع رضي الله عنه رأسه فقال يا بنية ليس كذلك ولكن كما قال تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد - 00:13:14
يتمثلت رضي الله عنها ببيت من الشعر فرد عليها ابوها رضي الله عنه وقال ليس كذلك وانما هو كما قال الله جل وعلا وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد - 00:13:33
قال وحدثنا خلف بن هشام قال حدثنا ابو شهاب الخياط عن اسماعيل ابن ابي خالد عن البهي قال لما انتقل ابو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت - 00:13:54
لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر وكشف عن وجهه وقال رضي الله عنه ليس كذلك. ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد - 00:14:09
يعني الاستشهاد بما ورد في القرآن اولى واحرى من الاستشهاد بما قاله العرب وقد اوردت لهذا الاثر طرقا كثيرة في سيرة الصديق

رضي الله عنه عند ذكر وفاته وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم - 00:14:27
انه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول سبحان الله ان للموت لسكرات الرسول عليه الصلاة والسلام وهو افضل الخلق على الاطلاق تغشاه سكرات الموت وما يستطيع ان ينطق فاذا جلي عنه قليلا - 00:14:48
قال اي والله ان للموت لسكرات. وفي قوله ذلك ما كنت منه تحيد. قولان احدهما انما ها هنا موصولة اي الذي كنت منه تحيد؟ ما بمعنى الذي ذلك ذلك الذي كنت منه تحيد - 00:15:11
ما موصولة يعني بمعنى الذي ذلك الذي كنت منه تحيد. نعم بمعنى تبتعد وتتنائى وتفر قد حل بك ونزل بساحتك والقول الثاني انما نافية ان ماء نافية بمعنى ذلك ما كنت - 00:15:33
لست تستطيع الهروب عنه ما كنت منه تحيد ما كنت تهرب ما تستطيع ان تهرب ما نافية بمعنى ذلك ما كنت تقدر على الفرار منه ولا الحيد عنه. يعني ما تقدر ان - 00:15:57
تفك نفسك ماء نافية وقد قال الطبراني في المعجم الكبير حدثنا مؤمل بن علي السائغ المكي قال حدثنا حفص عن ابن عن ابن عمر الحدي قال حدثنا معاذ بن محمد هلزلي عن يونس ابن عبيد عن الحسن عن سمرة قال - 00:16:18
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يفر من الموت مثل الثعلب تطلبه الارض بدين فجاء يسعى حتى اذا اعيا واسهد دخلا حجرة. وقالت له الارض يا ثعلب ديني - 00:16:38
وخرج وله حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ومات ومضمون هذا المثل كما لا انفكاك له ولا محيد عن الارض. كذلك الانسان لا محيد له عن الموت وقوله تبارك وتعالى - 00:16:55
ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد قد تقدم الكلام على حديث النفخ في السور والفزع والسعك والبعث وذلك يوم القيامة وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - 00:17:13
كيف انعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنا جبهته وانتظر ان يؤذن له قالوا يا رسول الله كيف نقول؟ للنفخ الذي هو اسرافيل عليه السلام لا يدري متى يؤمر بالنفخ - 00:17:28
لا يدري متى يؤمر التقم القرن يعني وضعه على فيه ينتظر الامر متى ينفخ فيه قالوا يا رسول الله كيف نقول؟ قال صلى الله عليه وسلم قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فقال القوم حسبنا الله - 00:17:47
ونعم الوكيل يعني ان المرأة اذا تخوف من شيء ما عليه ان يلجأ الى الله جل وعلا بالاعتماد عليه والاتكال عليه وتفويض الامر اليه. بان يقول حسبنا الله الله ونعم الوكيل. ورد في الحديث انها ما قيلت على في شدة الا وهانت ويسرها الله - 00:18:08
وهذه الكلمة العظيمة هي من كنز تحت العرش وقالها الخليلان في حال الشدة قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار. قال حسبنا الله ونعم الوكيل وقالها محمد صلى الله عليه وسلم - 00:18:35
قيل له ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد اي ملك يسوقه الى المحشر. وملك يشهد عليه باعماله. هذا هو الظاهر من الاية الكريمة - 00:18:58
وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد جاءت الى ارض المحشر تساق كل نفس صغيرة كبيرة عظيمة فقيرة ذكر انثى وجاءت كل نفس معها سائق يسوقها وشهيد يشهد عليها ما المراد بالسائق والشهيد - 00:19:20
السائق ملك يسوقها الى ارض المحشر والشهيد ملك اخر يشهد عليها بعملها وقيل السائق هو الملك الذي يكتب السيئات والشهيد الملك الذي يكتب الحسنات وقيل السائق ملك من الملائكة والشهيد الجوارح - 00:19:55
اليدان والفخذان كل ينطق بما فعل. هم الشهداء على ابن ادم وقال عثمان ابن عفان رضي الله عنه سائق ملك يسوقها الى امر الله وشهيد ملك يشهد عليها بما عملت - 00:20:31
وعن ابي هريرة رضي الله عنه السائق الملك والشهيد العمل وقال ابن عباس رضي الله عنهما السائق الملك والشهيد شاهد عليه من نفسه وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ما المراد بهذه النفس - 00:20:57

قيل انها عامة كل نفس المؤمن والكافر البر والفاجر وقيل المراد هنا الكافر خاصة والاول هو الذي قال به جمع من المفسرين يروى عن الجمهور انه عام في المسلم والكافر - 00:21:27

كل معه سائق يسوقه وشاهد يشهد عليه ويشهد معه ومن هو السائق ومن هو الشاهد على اختلاف بين العلماء كما سبق وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا - 00:21:51

لقد كنت في غفلة من هذا هذا في حق الكافر انك غافل عن هذا اليوم الذي تساق اليه وساهم له انت في سكرة في غفلة في سهو واشتغال في الدنيا - 00:22:19

وفي محسوساتها وملذوذاتها ومعرض عن الاستعداد لهذا اليوم لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك. ازلنا عنك هذه الغفلة الان صار الامر جليا واضحا بين يديك ترى وقيل - 00:22:38

ان هذا عام في كل احد لقد كنت في غفلة من هذا لان كل انسان برا او فاجر لابد وان يكون عنده شيء ما من التساهل في امور الاخرة لابد وان يكون عنده شيء من الغفلة - 00:23:04

وان قلت لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك. ازلنا وازلنا الغفلة التي كنت فيها. وازلنا الغطاء الذي يحجب عنك رؤية الاخرة. الان تراها عيانا واضحا جليا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد. بصرك قيل المراد بصرك - 00:23:26

رؤية رؤيتك عينك وقيل المراد بصر القلب وبصرك اليوم حديد. وقيل المراد به ميزان الاعمال الذي توزن به اعمال المرء حديد بمعنى قوي مدرك. لكن هيهات حين لا ينفع ذلك بالنسبة للكافر - 00:23:57

وبصرك اليوم حديد اي قوي مدرك للامور على حقيقتها لانه في حال الدنيا مكذب بكثير من امور الاخرة وصف الله جل وعلا المؤمنين بانهم يؤمنون بالغيب ان يؤمنون بما غاب عن اعينهم - 00:24:25

من امور الاخرة التي اخبرهم الله جل وعلا بها في كتابه العزيز على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فهم يؤمنون بهذا وان لم يروه وكأنهم يشاهدونه لقوة ايمانهم بما اخبرهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم - 00:24:51

واما الكافر فهو ينكر ويكذب ولا يصدق باي خبر يقال له عن امور الاخرة. لانه منكر للاخرة بالكلية يقول ليس بعد الموت شيء ويحسن ان ننبه على كلمة تقال احيانا - 00:25:17

يقال انتقل الى مثواه الاخير وهذا ليس بصحيح لان هذا القبر ليس المثوى الاخير هذا دار بين دارين دار البرزخ دار الدنيا وبين دار الاخرة الجنة او النار وانما الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث - 00:25:41

يقولون هذا القول عن اعتقاد انه انتهى واكلته الارض وانتهى وخلاص لكن المؤمن يؤمن بانه الان في روضة من رياض الجنة المقبور او في حفرة من حفر النار الله اعلم بحاله - 00:26:06

ولا يستمر على هذا لان المؤمن اذا وضع في قبره وفتح له باب الى الجنة قال ربي اقم الساعة نتمنى ان تقوم الساعة ليذهب الى اهله وما اعد الله جل وعلا له في الجنة - 00:26:25

واما الكافر والفاجر والعياذ بالله فاذا رأى ما اعد له في الدار الاخرة قال ربي لا تقم الساعة مع ما هو وفيه من انه في حفرة من حفر النار يتمنى المقام فيها ولا ينتقل الى ما هو اعظم وافظع منها - 00:26:43

القبر ليس هو المثوى الاخير وانما هو دار بين دارين. ودار البرزخ وقبله دار الدنيا وبعده الدار الاخرة وهو اختيار ابن جرير ثم روى من حديث اسماعيل ابن ابي خالد عن يحيى ابن رافع مولى لثقيف قال - 00:27:04

سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب فقرأ هذه الاية وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقال سائق يسوقها الى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت وكذا قال مجاهد وكان عثمان رضي الله عنه - 00:27:26

اذا وقف على القبر بكى حتى تبتل الارض بدموعه قيل له يرحمك الله نذكر الجنة والنار ولا يحصل عندك شيء من هذا وتذكر القبر وتبتل الارض بدموعك وقال ان القبر هو اول منزل من منازل الاخرة - 00:27:46

فان كان خيرا فما بعده خير منه وان كان شرا والعياذ بالله فما بعده شر منه المرء اذا وضع في قبره عرف مآله اما ان يوسع له في

قبره ويفتح له باب الى الجنة - 00:28:11
ويكون في روضة من رياض الجنة نسأل الله الكريم من فضله والا والعياذ بالله ضيقوا عليه في قبره وتلتئم فيه اضلاعه يعرف من حين ما يوضع في قبره والبشارة الاولى عند الاحتضار - 00:28:31
يرى هل يحضره ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقال مطرف عن ابي جعفر مولى اشجع عن ابي هريرة رضي الله عنه قال السائق الملك والشهيد العمل وكذلك قال الضحاك والسدي وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما السائق من - 00:28:48
الملائكة والشهيد الانسان نفسه يشهد على نفسه. يشهد على نفسه كما قال الله جل وعلا يوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون عندما يقف المرء بين يدي الله جل وعلا يقول يا ربي الم تجرني من الظلم؟ قال بلى. قال يا ربي اني لا اقبل شهيدا الا من نفسي - 00:29:09
يظن انه يسلم بهذا. فيقول الله جل وعلا له ذلك كذلك ويختم الله على فيه ثم تنطق الجوارح بما عملت من الاعمال السيئة كل جارحة تنطق بما عملت ثم يفتح له في الكلام. فيقول قبحكم ان الله وسحقا لكن وبعدا. اكنت اناضل عنكن - 00:29:33
كان جحوده خوفا عليهن من النار وهن الاعضاء الجوارح فضحنه قلنا انطقنا الله الذي انطق كل شيء ابن جرير ثلاثة اقوال في المراد بهذا الخطاب في قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - 00:30:03
احدها ان المراد بذلك الكافر رواه علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه يقول الضحاك بن مزاحم وصالح بن كيسان والثاني ان المراد بذلك كل احد من بر وفاجر. لان الاخرة بالنسبة الى الدنيا كاليقظة والدنيا كالمنام - 00:30:29
وهذا اختيار كالمنام حتى بالنسبة للمؤمن والاخرة يقظة يرى الامور واضحة وهذا اختيار ابن جرير ونقله عن حسين بن عبدالله بن عبدالله بن عبيد الله عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما - 00:30:51
والثالث ان المخاطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وبه يقول المخاطب بهذا النبي صلى الله عليه وسلم اي لقد كنت في غفلة من هذا يعني عن الرسالة ما كنت تتوقعها ولا تتهيأ لها - 00:31:10
ما اتاك من الله ما لم تتوقعه وهو هذا التكريم والرسالة العظمى وبه قراءة الجمهور لقد كنت في غفلة من هذا وكشفنا عنك بفتح الكاف. غطاءك بفتح الكاف وفتح التافي كنت - 00:31:29
وقراءة اخرى سبعية لقد كنت بكسر التاء وكسر الكاف والمراد بها النفس لقد كنت ايها النفس قد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وبه يقول زيد بن اسلم وابنه والمعنى على قولهما لقد كنت في غفلة من هذا القرآن قبل ان يوحى اليك - 00:31:55
وكشفنا عنك غطاءك بانزاله اليك فبصرك اليوم حديد. والظاهر من السياق خلاف هذا وللخطاب مع هو الاقرب يعني هذا القول الثالث والله اعلم وانما لعل المراد والله اعلم العموم او خصوص الكافر يصح العموم ويصح - 00:32:29
بخصوص الكافر الخطاب مع الانسان من حيث هو والمراد بقوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا يعني من هذا اليوم وكشفنا وهو يوم القيامة وكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد. اي قوي لان كل احد يوم القيامة يكون مستبصرا حتى - 00:32:52
كفار في الدنيا يكونون يوم القيامة على الاستقامة لكن لا ينفعهم ذلك قال الله تعالى اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا يعني عندهم السمع والبصر والادراك والقوة لكن لا ينفع لانه انتهى وقت الاستجابة والاجابة منهم وانتهى وقتها - 00:33:19
العمل وانما الوقت وقت جزاء على ما قدم المرء من خير او شر. والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:33:42